الشيخ محمد كامل الرافعي

٣

حبه للمنار وايذاؤه فيه

قلنا ان المودة بيننا وبين الفقيد كانت موروثة ثم قويت بما كان بيننا من المشاكلة في حب العلم والتصوف ثم ازدادت قوة بتصدينا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بالدعوة الى الاصلاح الديني والاجتماعي في طرابلس الشام ، حيث كان رحمه الله وأحسن مثوبته أقوى المدافعين والانصار. فلما أنشأنا المنار وتصدت الحكومة الحميدية لمقاومته وايذاء قرائه بدأ أس بعض المقربين من السلطان كان هو أقوى الثابتين على الانتصار له والمجاهرين بولاء صاحبه

منعت الحكومة الحميدية إدخال المنار الى ممالكها منذ سنته الاولى بارادة سلطانية ، فكان يرسل في البرد الاجنبية ويقرأه الناس في زوايا بيوتهم سرا منفردين ثم يخفون نسخه في المخابئ ، وكان هو وحده يقرأه على من يسر معه في حجرة الضيوف والسمار ويحمله في جيبه الى دار الحكومة ويضمه في درج مكتبه لينظر فيه عند سنوح فرصة فترات العمل ، فلما اشتد الضغط والايذاء لقرائه وفتشت بيوت المتهمين بقراءته كان نصيبه من الجزاء ان حبس في دار الحكومة مع بعض اخواننا فصبر على هذه المحنة صبر الكرام ولم يدهن الحكومة الظالمة بقول ولا فعل

وقد سبق قبل ذلك أن برد على المنار أو ينكر على صاحبه مسلكه في شرح خرافات أهل الطرق ومفاسد الظلمة وتقصير العلماء فيما يجب عليهم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فأبى مصرحا بأن هذه الدعوة التي يقوله المنار هو الحق وانه أدى به النصيحة التي هي روح الدين وقوامه ، وأوهز بمثل هذا الرد الى كثير من ممن يرون رأيه في المنار وصاحبه ومنهم من يدعي صحبته ومودته فسمعوا وأطاعوا وكانت جريدة طرابلس مدانا واسعا لجولان أقلامهم ، وكل منهم يتذرع لمثل الفقيد من اخواننا الصادقين بأنه مكره لا تار ، يخشى ايذاء رئيس زاوية الجلاوزة وغضب المتصرف ، فان أمن شرهما فى نفسه وماله وشرفه الكاذبة له فى بلده فلا يأمن شر المحرك لهما من

ضفاف البسفور ، ومنهم من زعم أنما كتب عن لسانه في تلك الجريدة كذب وانه لا يجرأ على التكذيب

وكان في جميع الاوقات والاحوال راضيا عن جميع مباحث المنار وآرائه الدينية والادبية والاجتماعية والسياسية مؤيداً له فيها مناضلا كل ما يسمعه من نقد أو اعتراض عليها ، وكان يرجح ما يحققه المنار من قواعد العقائد ومشكلات الفقه ومسائل التصوف على جميع ما خالفه من أقوال المتقدمين والمتأخرين وان عظمت شهرتهم وضخمت ألقابهم

ولما جئت طرابلس عقب اعلان الدستور العثماني بذل منتهى طاقته واجتهاده في المفاوضة بي ، وكانت مدة اقامتي في داره أضعاف مدة اقامتي في دار أمي وأبي ، وكان يتفنن لي كل يوم باختيار أطيب الطعام وأنواع الحلوى وأصناف الفاكهة ، لتجديد الرغبة فيها ، واثارة الشهوة لها ، وأمن لال من المنكر منها ، وكان فوق ذلك كله يقتنم فرص خلو المكان من الزائرين — وقلما كان يتفق ذلك الا عند المنام وبعد صلاة الفجر — فيطارحني مشكلات المسائل العلمية التي تعرض له في مطالعته لأشهر الكتب وغير ذلك مما يفكر فيه من الامور السياسية تارة والروحية أخرى

انني لم أعرف أحدا من الناس أشد من هذا الرجل حرصا على العلم وحبا للحق واخلاصا في القلب وصفاء في النفس وبعدا عن الهوى وبغض للدعوى وسلامة من الشكوى فهو على مخالفته إياي ومكاشفته لي بكل ما يجول في ذهنه ويعلق بقلبه لم أره في يوم من الايام شكا الي بغض أحد له أو بغضه لاحد الا ما كان يؤلمه من غفلة الناس واعراضهم عن الحق وعدم تقبلهم دعوة الاصلاح حبا فيه وحرصا على هدايتهم فمن كان متحليا بهذه الصفات لا يستغرب منه الرغبة الخاصة في الاستفادة من كل من يراه أهلا للافادة العامة أو الخاصة وان كان يفضله في كل ما عدا ما يستفيده منه ، فكيف يكثر منه طالب الفائدة بمنتهى الصفاء والاخلاص ممن غرس في قلبه حسن الاعتقاد فيه من أول نشأته ولم يزل ذلك الغرس ينمي ويترعرع حتى صار شجرة عظيمة ثابتة الاصل سامية الفرع يانعة الثمر الذي هو أحب الثمار اليه ولن كرهه من يخالفه في ذوقه ولم يتح له مثل عنده ؟

كتبت هذا وأنا في خجل من كتابته حتى كاد يصدني عنه وما كان أشد تريثي في المضي فيه ولولا النية الصالحة في كتابته لما غلبت خجلي بقوة الارادة التي يغلب بها الرجل كل ما يتعارض فيه الشعور النفسي والمصلحة الراجحة ، وانني لأشد خجلا من تنفيذ شيء آخر يتعلق بترجمة هذا الرجل الكامل مما يقتضيه تاريخ الاصلاح ورجاله وهو نشر مثال من مكتوباته لي وسأراجع طائفة منها ثم أرى هل يمضي الخجل مما فيها من الاطراء عن نشرها أم لا

وجملة القول في الفقيد انه لا يختلف أحد ممن يعرفه في أنه أفضل أسوة في الخير وأكمل مثال في هذا العصر للفضيلة ، فهو من شهداء الحق على الخلق ، وقد حدث بفقده فراغ لا يملأه أوف الرجال ، فنسأله تعالى أن يحشرنا واياه مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا

تقريظ المطبوعات الجديدة(*)

أصل العالم

مباحث فلسفية في الجغرافية الطبيعية صفحاتها ٣٥ صفحة بالقطع المتوسط. طبع في مطبعة الفنون الجميلة سنة ١٩١٦ على نفقة ادارة مجلة الرشيد على ورق كورق الصحف السيارة

اسم الكتاب يدل على موضوعه وعلو كعب مؤلفه الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري في الابحاث الفلسفية بنوه بمكانه ، وسبب تأليفه أن الشيخ عبد العظيم فهمي الفسر الطالب بالجامع الاحمدي سأل المؤلف أسئلة كانت لديه مشكلة وذلك بعد أن قرأ شيئا من مؤلفات الاستاذ الجوهري فأجابه بما أدى الى مباحث: (١) كروية الارض (٢) ما وراء الطبيعة (٣) تكوين العالم (٤) مخاطبة لطالب العلم وفيها حال الانسان الاولى (٥) الحالة الثانية (٦) الحالة الثالثة . وكلها في أصل الموجودات

(*) كتب تقاريظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا